

اهتمام المستشرقين باللغة العربية وأثره في دراسة النص الأدبي

أ. رفيق شريط، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

الأستاذ المشرف: د. عبيد ميلود منقور، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم

rafiq.cherrite.etu@univ-mosta.dz

ملخص: يُعد اختلاف لغات البشر وتعداؤها آية عظيمة، وأمرًا واقعا يصعب التغلب عليه، وتعتبر اللغة نسق من الإشارات والرموز وهي من أهم أدوات التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة بل هي أصل ثقافة الشعوب، وهي روح الأمم وعنوانها وهي من الركائز الأساسية في بناء الأمم ونهوضها، فلكل أمة لغة وثقافة تستمد منها عناصرها ومقوماتها وخصائصها. وقد حملت اللغة العربية مع الأيام بُدور وحدة الأمة كلما عصفت بها الخطوب وهي التي ما زالت تحمّل من دواعي الأصالة والثبات والكمال ما يجعلها لغة عالمية، وهي التي تحمل عوامل البقاء والديمومة رغم ما تواجهه من التشكيك والاعتداء على الخصوصيات الثقافية. الكلمات المفتاحية: الاستشراق، اللغة العربية، العامية، التعايش اللغوي، الوحدة اللغوية.

Summary: Human languages are different and various and this difference is considered as a great phenomenon and as reality which is difficult to be ignored or overcome. When we come to the definition of this divine gift. Many linguists have defined language as a pattern of signals and symbols which humans use to communicate their needs and ideas. It is also one of the most important tools of coexistence and unity that link the members of the society in all fields of life Moreover. Language is the origin of people's culture and nation's spirit. It is considered as the pillar of nation's foundation and its development is associated with it.

As the days passed. The Arabic language bore the unity of nations whenever the difficulties that it faced. It still has its originality and perfection of the Arabic language that makes it a universal language that carries the factors of survival and permanence despite orientalism and antagonism against Arabic cultural principles

Key Words: Orientalism, the Arabic Language, Dialects, Language Coexistence, Language Unity.

مقدمة:

استلم العرب زمام القيادة الفكرية والثقافية والعلمية للبشرية في القرن السابع للميلاد واستمروا في مراكزهم حتى القرن الخامس عشر، فعرف العالم الثقافة العربية الإسلامية في أوج تألقها، وظهرت الحاجة إلى أن تُترجم العلوم التي كُتبت باللغة العربية (العلوم الدينية، الأدب، الفلسفة، الطب والفلك) وكذا معاني القرآن الكريم إلى لغات تلك الأمم الغير العربية، لهذا تُعتبر اللغة من أهم مداخل الاستشراق وهو علم يهتم بالشرق أو بالعالم الشرقي، وقد ذهب بعض الدارسين والباحثين في تعريفهم للاستشراق بأنه يختص بفقه اللغة خاصة، فكلّ هذا الجرص الشديد على دراسة اللغة العربية وترجمتها لم يكن هدفا دراسيا علميا فقط بل كان هدفه بقضة الغربيين كأمة وجماعة وتحقيق العدالة اللغوية في مجتمعاتهم في حين زعزعة الوحدة اللغوية للأمة العربية، حيث نادى كثير من المستشرقين بأن العاميات واللهجات أقدر على لغة التخاطب والاستعمال في المجالات الثقافية، واستعمال العربية الفصحى سبب تخلف العرب وذلك لصعوبتها، وأن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة عامل من أهم عوامل التخلف الثقافي عند العرب في نظرهم.

فتراكت عبر العصور وفي جل اللغات جملة من الكتابات المتنوعة، اهتم فيها أصحابها بالعرب ولغتهم وأدبهم وحضارتهم ومختلف أنشطتهم العلمية والمعرفية والانسانية، من مُنطلق التفوق العنصري والثقافي على الشرق وبهدف السيطرة عليه، وتجمعت لذلك مدونة ثرية المادة متعددة المباحث أُطلق عليها الاستشراق وكان أول ماتناولت دراساتهم من موضوعات هو اللغة العربية والاسلام لهذا نطرح الاشكالات

التالية: ماهي السبيل التي اتخذها المستشرقون لدراسة اللغة العربية؟ وكيف يمكن الوصول إليها؟ وبأي طريقة يمكن التغلغل في علوم الأمة العربية ولغتها وكيف تكون الوسيلة لدراسة اللغة والأدب العربي، لذلك سنتناول.

أولاً: تعريف الاستشراق ومفهومه.

ثانياً: اهتمام المستشرقين باللغة العربية.

ثالثاً: أثرهم في الدراسات اللغوية العربية.

الخاتمة.

أولاً-تعريف الاستشراق: هناك تعاريف ومفاهيم عدة باعتباره علماً أو منهجاً أو أسلوباً في التفكير

الغربي لدراسة كل ما يتعلق بعلوم الشرق، لذلك سنقوم بتعريفه عند العرب وتعريفه عند الأوربيين.

1-تعريفه في اللغة العربية: عند النظر إلى أصل كلمة (استشراق) نجد أنها مصوغة على وزن

استفعال وهي كلمة مركبة من شرق وإضافة الحروف الزائدة " الهمزة والسين والتاء ا، س، ت" والتي

تعني في اللغة العربية طلب الشيء، فالاستشراق إذن هو طلب الشرق وكلمة (استشراق) مأخوذة من

الفعل الثلاثي شرق المشتق من مادة الشرق وجاء في معجم الوسيط (شرقت الشمس شرقاً وشرقاً إذا

طلعتشرقت الأرض أنارت بإشراق الشمس)،¹ وجاء في لسان العرب: (شرق) شرقت الشمس تشرق

شروقاً وشرقاً طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين

مشرق ومغرب وشرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق،² أمّا المصدر استشراق فهو

حديث، لم يرد له ذكر أو لأي من مشتقاته في لغة العرب القدماء ولا في مصنفاتهم ولا يعثر الباحث عليه

في معجم أو كتاب عربي وسيط كـ (لسان العرب) لابن منظور و(تاج العروس) للزبيدي و(القاموس

المحيط) للفيروز أبادي، وقد ظهر لأول مرة في معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا الذي يقول: "استشرق

طلب علوم الشرق ولغاتهم (مُولدة عصرية) يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة"،³ ويرى مالك بن نبي

في تحديد مصطلح استشراق في مقال له تحت عنوان إنتاج المستشرقين "إننا نعني بالمستشرقين الكتاب

الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية"،⁴ ويعرفه أدوارد سعيد "إن أسهل

طريق لتعريف الاستشراق هو نوع من التبيين الأكاديمي لهذا الاصطلاح، وفي الحقيقة إن هذا المصطلح

يستعمل في الجامعات والأوساط الأكاديمية لمن يدرّس مواضيع الشرق، أو يبحث حول هذا الموضوع

سواء كان متخصصاً في علم معرفة الإنسان، أو في علم الاجتماع، أو مؤرخاً، أو متبحراً في علم اللغة

بمعناه العام أو الخاص فهو مستشرق، ويطلق على عمله في هذا المجال الاستشراق"،⁵ وهناك تعريف آخر

للدكتور إدوارد سعيد حيث يقول: "الاستشراق هو أسلوب غربي للسلطة، ونوع من الإسقاط الغربي على

الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق"⁶ ويقول الدكتور أنور عبدالمك الذي عالج ظاهرة الاستشراق قبل

إدوارد سعيد "إنّ الأزدهار الحقيقي للدراسات الشرقية في القطعين الرئيسيين هما الشرق الأقصى والعالم

العربي يعود تاريخه بالدرجة الأولى إلى عصر التمرکز الاستعماري وبشكل خاص إلى السيطرة

الأوروبية على القارات المنسيّة في أواسط القرن التاسع عشر، ثم في ثلثه الأخير".⁷

2-في اللغات الأوروبية: ثمة تعريف آخر يدل على أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما

الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية ويرى البعض أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط

بالمشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء

والنور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاؤ.⁸

يشير لفظ(Orient)في الدراسات الأوروبية إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة

"تتميز بطابع معنوي وهو(Morning)وتعني الصّباح، ومعروف أن الصّباح تشرق فيه الشمس وتدل هذه

الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصّباح الذي يتضمن معنى النور

واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة (Evening) وتعني المساء لتدل على الظلام والرّاحة".⁹

وتعني في اللاتينية كلمة (Orient)يتعلم أو يبحث عن شيء ما، وبالفرنسية تعني

كلمة(Orienter)وجّه أو هدى أو أرشد، وبالإنجليزية(Orientation)و(orientate)تعني "توجيه

الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية

في المجال الفكري أو الروحي، وبذلك يتبين أن مصطلح الاستشراق ليس مستمداً من المدلول اللغوي، بل من المدلول المعنوي لشروق الشمس التي هي مصدر العلم.¹⁰

أولاً- أهم جهود المستشرقين في خدمة اللغة العربية وآدابها: كانت للمستشرقين إنجازات كثيرة ومتنوعة في الأدب العربي، ونراها في بعض المجالات أكثر دقةً ونوعيةً مما أنجزه العرب أنفسهم وصارت هذه الأعمال كمراجع ومصادر أصلية للغة العربية، وهذا ما اعترف به أكثر الباحثين والكتاب العرب الذين لهم صلة مستمرة بهذه المصادر وبصورة عامة، إن هذه الإنجازات كانت لصالح العرب والمسلمين علمياً وثقافياً، فنذكر فيما يلي عدداً من أهم هذه الأعمال والإنجازات:

1- حفظ المخطوطات الأدبية من الضياع ونشرها وطبعها: وقد تصل هذه المخطوطات العربية في مكتبات أوروبا إلى عشرات الآلاف، وطبقاً لإحصائية الدكتور جواد طعمة في مقالته «قواعد الفهرسة الألمانية للمخطوطات الشرقية» تصل هذه المخطوطات فقط في مكتبة الدولة البروسية في برلين إلى أربعة عشر ألف مخطوطة.¹¹

مما لا شك فيه أن للأدب العربي تراثاً ضخماً ثميناً يجعله أكثر أهمية من حيث المصادر والدواوين الشعرية والقصص وأمثالها، ووجب حفظ هذا التراث القيم بيد من يقدره ويصونه، فمن جملة مهام المستشرقين حفظ هذه المخطوطات ونشرها في الدول الأجنبية، وتعريف الأمم الأخرى بها، وخاصة الدول الغربية؛ فإن أكثر المستشرقين كانوا يعتبرون العرب كأمة أنجبت حضارة قديمة مزدهرة، ولكن مع الأسف في مجال الأدب الحديث لا يوازي إنتاج الأدب العربي المعاصر ما أنتجه العلماء العرب القدامى ويقول الدكتور عبده عبود وهو من الباحثين الذين لهم نظرة إيجابية إلى الاستشراق والمستشرقين في كتابه «الأدب المقارن، مشكلات وأفاق» "إحياء التراث العربي وتعريف العالم بالثقافة العربية ونشر اللغة العربية في صفوف الأجانب وكتابة تاريخ الأدب العربي ودراسة اللغة العربية... هي أمور تقع على عاتق الطرف العربي في المقام الأول لا على عاتق المستشرقين؛ لذا فإن النقد واللوم على كل تقصير يقع في هذه المجالات ينبغي أن يوجه إلى الجانب العربي أولاً، ولا يجوز أن يتحول الاستشراق إلى مشجب نعلق عليه ذلك الجانب من مشكلاتنا، وإلى كبش فداء ننحره تكفيراً عن خطايانا، وذريعة نبرر بها تقصيرنا بحق ثقافتنا ومجتمعنا، أما المستشرقون فيجب أن يُشكر لهم جهودهم أولاً لتدوين اهتمامهم بالثقافة العربية ويشكرون مضاعفاً لأنهم أدوا خدمة لتلك الثقافة".¹²

2- التحقيق والنشر: نشر المستشرقون مئات المخطوطات العربية في بداية عصر الطباعة مثل سيرة ابن هشام والإتقان للسيوطي وكتاب سيبويه والاشتقاق ومعجم الأدباء والكمال للمبرد والجمهرة وغيرها.

3- التأليف في الدراسات العربية والإسلامية: وبلغ عدد ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف "منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب"،¹³ فقد ألفوا في جميع مجالات اللغة العربية كتدوين الموسوعات الضخمة والمعاجم، وتاريخ الأدب العربي ومعرفة اللهجات القديمة والقواعد العربية، وترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية، وبحوث نقدية وتطبيقية قيمة، ونشر مجلات خاصة بعلوم الشرق العربي والإسلامي.

4- التدريس الجامعي وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: ذاع صيت اللغة العربية في القرون الوسطى بين علماء أوروبا لكثرة المتكلمين بها، ولشهرة فلاسفة الإسلام بينهم كابن رشد وابن سينا وابن زهر والفارابي والرازي فطلت تدرس فلسفتهم وطبهم في جامعات أوروبا حتى بداية القرن العشرين وفي سنة 1130م تأسست في طليطية كلية لترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية برعاية الأسقف ريموند،¹⁴ ومازالت اللغة العربية تُدرس في كبرى الجامعات الأوروبية إلى يومنا هذا.

ثانياً- اهتمام المستشرقين باللغة العربية: ارتبط اهتمام المستشرقين باللغة العربية بعوامل تاريخية وأخرى اقتصادية ارتبطت بدورها بالنهضة الأوروبية التي حققتها الثورة الصناعية، والتي استلزمت بدورها البحث في تراث الأمم المجاورة، إما بهدف علمي أو هدف استعماري، وتجلت اهتمامات المستشرقين بالتراث العربي أساساً لعدة أسباب علمية وأخرى استعمارية، تتمثل فيما يلي:

1- الاهتمام الأوروبي بالعربية بعد مؤتمر "فيينا" 1312م: أدرك روجر باكون (Roger Bacon) بعد القرن الثالث عشر ضرورة الاتصال ثقافياً بالحضارة الإسلامية وضرورة تعلم اللغة العربية بل التسلح

بأفكار المسلمين وطرائقهم في المحاججة للردّ عليهم وقد ظلّ هذا الاتجاه يتنامى إلى أن عُقد مُجمع فيينا عام 1312م الذي أوصى أن تُدرّس العربية في كبرى المراكز العلميّة الأوربيّة وانشاء كراسي اللّغة العربيّة في روما على نفقة الفاتيكان، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا وفي أكسفورد على نفقة ملك انكلترا وعليه عد الكثير من المؤرخين أن هذا المؤتمر كان البداية الرّسمية لظهور هذه الحركة الفكرية بشكل منظم وشبه رسمي ونشأ عند ذلك العديد من المدارس والمعاهد الاستشرافية لتعليم اللّغة العربيّة، وتعدّ هذه الخُطوة بدايةً المُحاولات الأوربيّة رسمياً للاهتمام بالعربيّة وفضلاً عن ذلك فيمكن أن يُعدّ هذا المجمع نقطة تحوّل أو انتصاراً للاتجاه الأوربي الدّاعي إلى حرب المسلمين ثقافياً.

بدأت هذه المُحاولات المتعثّرة، إذ بيّن الجين والآخر كان بعضهم يقرّع طبول الحرب والدّعوة إلى إبادة المُسلمين، ومن هؤلاء لول (Lol) ويعقوب الفيروني (Yaacob le Ferroni) والفورنسي ريكولدودا (Florentine Ricoldoda) والفورنسي ريكولدودا وفي أواخر القرن الخامس عشر زاد جهل الأوربيين بالمسلمين ولُغاتهم وفكرهم حتّى أن يوحنا السّيغوفي، بحث هو بنفسه في أوربا طويلاً وعرضاً لكنّه لم يعثر على أحد يعرف لغة القرآن ليراجع ترجمته له، وهكذا بقيت دون مراجعة أخيرة.¹⁵

يعدّ تكبير يوحنا السّيغوفي في ترجمة القرآن جزءاً من مخطّط يراد من خلاله أن تتجاوز الحرب الثقافيّة ضدّ المسلمين صورتها التقليديّة القائمة على الانفعال الخيالي، والاستعاضة عن ذلك بالاتصال بالأصول اللّغوية العربيّة والإسلاميّة.

2- دواعي الاهتمام بالعربيّة في عصر النهضة الأوربيّة: كانت حاجة الأوربيين إلى الخروج من دائرة وسائلهم الثقافيّة التي لم تخرج بهم كثيراً من قبل عن اللّغة العربيّة وبعض لهجاتها قد ازدادت بل أملت عليها ثقافتهم التصرانيّة ذاتها، فقد تصدّعت الوحدة الأوربيّة التي كانت الكنيسة الكاثوليكيّة رمزاً لها وكان من أسباب تصدّعها في القرن السادس عشر اختلافهم في صحّة النصوص التي تنسبت بها الكنيسة الكاثوليكيّة... وكان البروستانت "وهي أحد مذاهب وأشكال الإيمان في الدين المسيحي، تعود أصول المذهب إلى الحركة الإصلاحية التي قامت في القرن السادس عشر هدفها إصلاح الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا" بزعامة مارتن لوثر (martine lothre) الألماني، في مُنتصف القرن السادس عشر، من أهمّ الثّائرين على الكنيسة، وقد رأى هؤلاء أنه لا بدّ لهم من العناية باللّغات السّامية التي وردت فيها النصوص التصرانيّة المقدّسة كالعبريّة والسريانيّة والحبشيّة... ولما كانت هذه اللّغات مُندثرة عامضة في كثير من مفرداتها وتراكيبها فقد بات لزاماً عليهم أن يستعينوا على معرفة ألغازها وغوامضها بالاستئناس بالعربيّة وهكذا أصبحت العربيّة مُعيناً لهم في معرفة نصوص كتبهم المقدّسة، وقد كانت إلى ذلك الوقت لغة مهمّة علمياً فقد كانت وعاء لعلوم مختلفة كالطب والكيمياء، وأهمّ من ذلك بالنسبة للأوربيين أنّها حفظت لهم الفلسفة اليونانيّة التي تُرجمت إلى العربيّة.

خبا الصّوت العسكري الدّاعي إلى إبادة المسلمين بالقوة في عنفوان قوّة المسلمين إبان الحُكم العثمانيّ فأقصى ما يُمكن أن يطمح فيه بلدٌ أوربيّ كالتّمساً أن تفكّر في الدّفاع عن عاصمتها فيينا التي حاصرها الجيش العثمانيّ مرّتين سنة 1529 م وسنة 1683 م، وقد كان سبيل التّساويين في تعاملهم مع الأتراك أن يلتمسوا سبيل المواجهة الثقافيّة، وفي هذا المعنى تقول المستشرقة الألمانيّة أني ماري شمل (AnnieMarie inclus) ولذا وجبّ على التّساويين الاهتمام بعادات جيرانهم الأقوياء - تعني الأتراك - وبطرق حياتهم وكذلك بلُغتهم فحفرت حروف عربيّة في خشب لأجل الطبع لأوّل مرّة في سنة 1554م في فيينا،¹⁶ وقد أكّد ألبرت دي تريش (Albert de Tric) الطّروف التي أملت على الأوربيين ضرورة المواجهة الثقافيّة التي استلزمت معرفة اللّغة بوصفها سلاحاً مهمّاً في هذا المجال، حيث قال "وعندما توغل الأتراك حاملو لواء الإسلام وقتذاك في أوربا شعرت أوربا بضرورة دراسة لغات العالم الإسلامي لتلك الأسباب السياسيّة"،¹⁷ كيف لا وقد أحكم المسلمون قبضتهم على البلقان وبلاد الصّرب وقد وصلوا في 1460م إلى تخوم أوربا الغربيّة.

ازدادت حاجة أوربا في القرن السابع عشر إلى أن تُعرف العربيّة معرفة أوثق، تتناسب مع مصالحها في الشّرق، فقد أن الأوان للاتجاهين السابقين أن يُمارسوا نشاطهما بطلاقة، وقد تمثّل في الاستعمار والاتجاه الذي يدعوا إلى حرب الثقافة ويتمثّل هذا في التّنصير، وقد واکب الاتجاهين رغبات في

تحقيق المكاسب التجاريّة التي تُصارع عليها في هذا القرن كُُل من البُرتغال والرُوس ثمّ الانجليز والفرنسيين وغيرهم من الدُول الأوربيّة، وقد أصبح الاستشراق في هذا القرن مدعوماً بالمصالح السياسيّة الاستعماريّة بل إنّ بعض رُواده كانوا من الدبلوماسيين الذين استفادوا من إقامتهم في الشرق الأندلسيِّمقوا معرفتهم بالعربيّة وأضف إلى ذلك المنصّرين ورجال الاقتصاد يَفُولأبري"فبينما التاجر يسعى في تحصيل النفع المادّي من علاقته بالشعوب الشرقيّة إذ بالمبشر الإنجليز يسبقه تارة أخرى، وقد امتلأ حماساً شريفة لأن يُحقّق أمر معلّمه المسيح، وقد وجد أنّ ممّا يساعده على تحقيق ما يرمي إليه في الخُلاص الرُوحى أن يتعلّم ما للجماعة التي سيلقاها من لغة وطرق تفكير".¹⁸

كانالأوربيون يستعدّون استعداداً مُتنامياًللمواجهة الثقافيّة مع المُسلمين وفي هذا الوقت ظلّ المسلمون يُمعنون في الاعتزاز بقوتهم العسكريّة دون أن يستعدّوا الاستعداد الكافي من الناحية الثقافيّة، لا لنشر دعوتهم، ولا لتلقّي الخطر الذي يُحيط بهم، وقد حققت اللغات الأوربيّة في العصر الحديّث مكاسب كبيرة إذ أخذت تستوعب الحضارة العلميّة الماديّة المتفجّرة في أوربا وتنتشر بسرعة وأخذت الأسباب المختلفة تتسابق في خدمة هذه اللغات حتّى خرّجت عن أطرها لتصبح لها مكانة علمية وعالميّة ومما ترتّب على هذا أن بدأ يتقلّص نفوذ اللغة العربيّة، بعد أن كانت كما قال عنها المستشرق الإنجليزى ويليام بدويل(William Bedwell) "إنها لغة الدين الوحيد وأهم لغة للسياسة والعلم من الجزائر السعيدة إلى بلاد الصّين"،¹⁹ وسنعرض فيما يأتي بعض المستشرقين الذين اهتموا باللغة العربيّة، وألّفوا في علومها وهمأندريه ميكال(andrémiquel)ورجيسبلاشير (RegisBlacher) وأنخل بلاثينا(angle bladhenai)كارل بروكلمان (Carl Bruckleman).

أ- اهتمام أندريه ميكال باللغة العربيّة: هو مستشرق فرنسي ولد في 26 سبتمبر 1929م بميز ومزال حي يرزق إلي يوم كتابة هذه الاسطر، روائي وشاعر متخصص في الإسلام واللغة العربيّة، ألف ما يقرب من ستين عملاً وكتب حوالي مائتي مقالة أتنّ العربيّة بالمعهد الفرنسي للدراسات العربيّة بدمشق (1954، 1953م)، اهتم ميكال في مشواره العلمي بالثقافة العربيّة وقد ترجم إلى الفرنسيّة أشعار العديد من قدامى الشعراء العرب ودرس أعمالهم كما غنى بالحكايات العربيّة فترجمها إلى لغته، وحل كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع، وأعاد بالتعاون مع جمال الدين بن الشيخ الجزائري ترجمة "ألف ليلة وليلة" في صيغتها الكاملة، ووضع سيرة روائية لمجنون ليلي وألف العشرات من الدراسات في التاريخ العربي.

ب- اهتمام ريجيسبلاشير باللغة العربيّة: هو مُستشرق فرنسي ولد عام 1900م تُوفي عام 1973م له دراسات رائعة في الأدب العربي واللغة العربيّة، وقد استنّاره الشاعُر العربي الكبير المتنبي فخصّ جزءاً من حياته لدراسة أدبه، وقام بترجمة القرآن الكريم كذلك،²⁰ يمتاز بلاشير عن بروكلمان وغيره بأنّه يعرض قضايا الأدب، ويُعطي خُلاصة ثقافته فيه بوضوح تام وصراحة كبيرة، كما أنّه قد استوعب الدراسات السابقة التي قام بها المُستشرقون قبله فيعارضهم تارة، ويصحّح بعض مساراتهم تارة أخرى، يقول عنه نجم الدين غالب الكيب بأنّه يمتاز بالتفاني والإخلاص والحب العميق للشرق وتراثه،²¹ وقد ألف بلاشير كتباً كثيرة عن اللغة العربيّة والأدب العربي، وبعض الكتب في جغرافيّة العرب، وتظهر وفرة خبرة بلاشير في اللغة العربيّة والأدب العربي وأسراره في كتابه "تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي"، ويقع في جزء واحد، أمّا الجزء الثاني من هذا الكتاب فلم تظهر ترجمته إلى العربيّة،²² وأبدى بلاشير في كُتبه رأيه الواضح مؤيداً بالأدلة والبراهين عن دراسة حقيقيّة للأدب العربي، ويبدو من خلال ذلك أنّه تركّ الدين جانباً.

ج- اهتمام "أنخلبلاثينا" باللغة العربيّة: هو مُستشرق اسباني، وُلد عام 1889م، وتوفي عام 1949م، له آثار مُختلفة، يبدو أنّه تخصص في دراسة الفكر العربي الإسلامي في الأندلس، كما اهتم بالأدب العربي وأثره في الأدب الأوربي،²³ كما اهتم المستشرق الأسباني "أنخلبلاثينا" بالأدب العربي شعره ونثره، واهتم باللغة العربيّة وبلاغتها، وقد أشار بإسهاب إلى أثر الأدب العربي في الأدب الأوربيّة وبعض أدبائها، ودور بعض المستشرقين وإسهامهم في اكتشاف هذا التأثير، وأهميّة دراسته للأدبين العربي والغربي على حدّ سواء وقد عرض في كتابه "تاريخ الفكر الأندلسي" جميع ما يتصل بالأدب الأندلسي من شعره ونثره وأدب وقصّة وطب وفلك، تناول كثيراً من علماء وأدباء الأندلس كابن حزم وابن قزّمان وغيرهما.

أدرك الاستشراق والمستشرقون بعد كل هذه الدراسات حول اللغة العربية بقوة تأثير اللغة العربية في السير والحركة والتقدم بما لهم من خبرة بعلمها وآدابها وفنونها، وبما لهم من دراية لقرانها وعروبته و تراثها ففروا ليس كلهم أن يتناولوا السهم ليصوبوه إلى قلب أصحابها ومن هنا فإن المتتبع لسيرة الحركات الفكرية في بلاد العروبة والاسلام قد يتبين أن كثيرا من تلك الحركات قد اتخذت لبلوغ أغراضها صوراً ثقافية مختلفة، وأنها تنادي دائماً بالتححرر من قيود الماضي ولطرح أعباء القديم ونظرة فاحصة إلى ما وراء المظاهر المتعددة التي تتخذها هذه الحركة سواء في الادب والفلسفة والدين أو الفن أو السياسة تقنعنا بأنها جميعاً تصدر عن هدى واحد وترمي إلى مقصد واحد كذلك، أما الهوى فهو إشاعة التشكيك والاضطراب في مفاهيم الأمة ومقوماتها، حتى تضيق معالم تراثها الروحي ولا يبقى أمام أرباب الفكر فيها إلا صورة مهزوزة وعقائد ممسوخة، وأما المقصد فهو التمكين للنفوذ الأجنبي من نواحيها متى نام وعيها وتفرقت كلمتها، فنسيت تاريخها، وضلت طريقها وفقدت الثقة بتراثها، وأخذت بعض طوائفها أو أفرادها تردد صيحات مستوردة مسعورة لا تمت إلى روحها بأدنى الأسباب وقد تبين ذلك المقصد منذ أواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن، في حملات التغريب التي شنها النفوذ الغربي وأعوانه في آسيا وأفريقيا مصوباً هجماته إلى التراث العربي الإسلامي بوجه عام وإلى اللغة العربية بوجه خاص...، كما بدت في فيض من الكتابات الاستشراقية ملأت الأسواق في أوروبا وأمريكا.²⁴

د- اهتمامكارل بروكلمان باللغة العربية: هو مستشرق ألماني ولد في 17 سبتمبر 1868م لعائلة ميسورة معتبرة من طبقة الثجار في مدينة روستوك (Rostock)،²⁵ ظهرت موهبته للغات بسرعة في المدرسة الثانوية، وكان يتمتع بحب غريب للأقطار البعيدة، بحيث نشأت في نفسه رغبة ملحة أن يجوب العالم، وكان الهدف هو الدافع الذي حداً به إلى الاستماع إلى درس العبرية الذي كان يعطيه نيركر (Nercker)، وقد ذكر بافتخار أنه استطاع في امتحان الشهادة الثانوية النهائي أن يترجم مقطعاً غير مُشكل من سفر قاموس العهد القديم دون أيّ إعداد سابق وتعرّف في المدرسة أيضاً إلى لغة الكتاب المقدس الآرامية، وإلى السريانية كذلك، وبعد عام 1886م قرّر أن يدرس اللغات الكلاسيكية والتاريخ إلى جانب الاستشراق وكان مدخله إلى العربية والأنثروبئية، والقواعد المقارنة للغات السامية على يدي المستشرق فردير شفيهلهم مارتن فيليبي (Friedrich Wilhelm Martin Felipe) وراح يدرس اللغة التركية لوحده،²⁶ درس بروكلمان على يدي المستشرق تيودور نولدكا (Theodore Noldeka) وقد كلفه بالقيام بدراسة عن العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن كثير وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري وقد استطاع الحصول على الدكتوراه الأولى عام 1980م، انتخب بروكلمان في مجاميع برلين وليبزيج وبودابست وبون ودمشق، وغيرها.

يُعتبر بروكلمان من المستشرقين الذين لا يُنكر فضلهم في إخراج تراث العرب والعناية به وقد اهتم بالأدب العربي وأعطاه كثيراً من عنايته، وأقبل عليه وجعله شغله الشاغل بما له من مؤلفات عديدة فيه،²⁷ وكان مولعاً في المرتبة الأولى بعلم اللغة وفقهها، وكما فعل في سائر الفروع الأخرى المذكورة فقد أسهم أيضاً في مجالات ودوائر اللغة العربية والاسلام، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "تاريخ الأدب العربي" الذي ترجم في ستة مجلدات فيه رصد لما كُتب في اللغة العربية، وفي العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها ومكان وجودها، كما أنه أول من نشر كتاباً عربياً قديماً مجهولاً عن فنون المعاشرة، ونسبه زوراً إلى الإمام السيوطي، غير أن هذا الكتاب غير مذكور في فهرست مؤلفات الإمام التي كتبها بنفسه،²⁸ أدرك المستشرق الألماني أهمية اللغة العربية والتراث الإسلامي ومخطوطاتهم فكتب تاريخ الأدب العربي وذكر فيه ما يقرب من عشرين ألف مخطوطة مع ذكر أماكن وجودها وأرقامها.

الثالث: أثر المستشرقين في الدراسات الأدبية واللغوية العربية: لا يخفى على أحد جهود المستشرقين في شتى المجالات العلمية والدينية والسياسية في الشرق، واهتمامهم الأدبي باللغة العربية بوجه خاص، وهي التي نعني بها في هذا المقال أكثر من غيرها، فهؤلاء المستشرقون قاموا بجمع عدد كبير من المخطوطات العربية، ونشروها بطريقة علمية، ووضعوا النصوص الأصلية بين أيدي الدارسين والمحققين العرب، ولا بد أن تكون لتلك الجهود آثار سلبية وإيجابية، فلقد قام عدد من علماء العرب وأدباءهم بنقد هذه الآثار وتحليلها؛ فمن القدماء نستطيع أن نذكر على سبيل المثال جمال الدين الأفغاني

ومحمد عبده وسيد قطب الذين ذكروا مضرّات الاستشراق، وطلبوا من مثقفي الأمة الإسلامية أن ينتبهوا لدسائس الاستعمار الخفية من أجل بسط سيطرته من طريق التعرّف على علوم الشرق ومعرفة بلادهم إلى أن يحتلّوها ويستولوا على عقليات شعوبها لضمان استعبادها.

ونشر محمد عبده ردوده لأفكار رينان وغيره من الفلاسفة الفرنسيين، كما نجد في كتابات سيد قطب ردوداً على الاستشراق، ومن كتبه في هذا المجال: شبهات حول الإسلام، والمذاهب الفكرية المعاصرة وأيضاً كتابه واقعا المعاصر؛ وفي المقابل هناك فئة من المثقفين والأدباء العرب الذين لهم نظرة إيجابية لتأثير الاستشراق - وهم ليسوا بقلّة - من الكتاب والباحثين القدماء والجُد أمثال جرجي زيدان والدكتور عبدالرحمن بدوي وجودت الركابي مؤلف كتاب الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار.

والدكتور عبده عبود من الكتاب الجدد الذي ذكر في كتابه الأدب المقارن، مشكلات وآفاق الآثار الإيجابية للاستشراق والمستشرقين الذين يعدّهم أصدقاء للعرب، ممّا خلّفوا من نشر وكتب، وبسطوا اللغة العربية إلى مختلف أرجاء العالم، ومن الآثار الإيجابية لظاهرة الاستشراق هي التعريف بالمخطوطات الثمينة، ونشرها وطبعها بطريقة علمية، وبسط نطاق اللغة العربية في كل أنحاء العالم، بحيث نحن اليوم لا نجدلغة في العالم إلا وقد تُرجم الكثير من معارف العلوم العربية والدين المبيّن الإسلامي إليها؛ لأن لكل شيء طريق للتعرف عليه، وبالتأكيد طريق التعرّف على الإسلام هو معرفة اللّغة العربيّة.

1- الآثار الإيجابية لدراسات المستشرقين في اللّغة والأدب العربيّة:

أ- إعداد دراسات وأبحاث عن الحضارة القديمة؛

ب- تجميع كل ما وجد من المخطوطات العربية بالمكتبات الأوروبية؛ ووضع فهرس لهذه المخطوطات؛

ج- نشر كثير من الكتب النفيسة وترجمة البعض منها إلى اللغات الأوروبية؛

د- إعطاء دروس في المنهجية لعلماء الشرقيين؛

هـ- تنظيم مؤتمرات عن الاستشراق؛

و- كتابة دراسات في موضوعات شتى، وهي ولو كانت مغلوبة من حيث الفهم اللغوي والتأويلات الدينية إلا أنها قوية بمنهجها؛

ز- الإسهام في خلق وعي قومي بمختلف أقطار الشرق وتنشيط النهضة العلمية.

يميز الدكتور عبدالمنعم الخفاجي الاستشراق السياسي والاستعماري من الاستشراق الذي جاء إلى بلاد الشرق بأهداف علمية، وخلف الكثير من الآثار الثمينة في شتى المجالات؛ منها اللغوية والأدبية والدينية، وربما هي التي صارت باعثاً لحركة جديدة للباحثين العرب، وهو الفحص الدقيق في المخطوطات النفيسة والتراث الأدبي والعلمي والديني القيم عندهم؛ ويضيف الاستشراق الذي له اتجاه استعماري، وهذا الاتجاه يمثله خليط من الجامعيين ورجال الأعمال والمبشرين والمغامرين والعسكريين وكان هدفهم الأول احتلال بلاد الشرق واستعمارها وهذا الاتجاه كان له مفهوم عام يصدر عنه في رؤيته للشرق، وهو مفهوم يؤمن بالعنصرية، و بانحطاط السلالة السامية، ويعتقد بوجود جوهر تاريخي لكل أمة لا يمكن لكائن أن يغيّره.

2- الآثار السلبية لظاهرة «الاستشراق» في اللّغة والأدب العربيّة:

أ- التشكيك في أصالة الأدب العربي: أول ما ظهر من آثار سلبية للاستشراق على اللّغة العربيّة قد يكون في بداية القرن الثامن عشر، ففي تلك الفترة كانت الأهداف الاستعمارية للاستشراق غالبية على بحثهم، ولهذا اندفع عدد كبير من المستشرقين الأوائل لمعرفة اللّغة العربيّة، ومعرفة لغات الشرق ونشرها وإصدار المخطوطات وانتشار الكتب، وترجمة القرآن والكتب العربيّة الأخرى، وأول موقف عدائي ظهر على لسان هؤلاء هو التشكيك في مصادر الأدب العربي كالشعر الجاهلي والشعراء الجاهليين، فهم أنكروا أن للشعر الجاهلي في تاريخ الأدب العربي حقبة خاصة من الزّمن - وقد تكون تقريباً بمائة سنة قبل ظهور الإسلام - وقالوا إن القصائد المسماة بالمعلقات لم تكن صادرة من شعراء قبل ظهور الإسلام مثل امرئ القيس أو شاعر آخر من أصحاب المعلقات كما نعرفهم، بل هو من أشعار الرّواة أنفسهم وعلى رأسهم حماد الراوية وخلف الأحمر، فإنّهم كانوا يصنعون الشعر وينسبونه إلى الرجل غيره، أو ينحلون الرّجل غير شعره، ويزيدون في الأشعار من عندهم، ومن المستشرقين الذين طرحوا هذه

الفكرة وحاولوا أن يثبتوا وينقلوها إلى علماء العرب وأدباءهم يمكن أن نذكر مرجليوثونولدكهوتشارز و جولد تسهير وغيرهم، فإنهم خلفوا ورائهم آثار كبيرة في هذا المجال.

ومن الأدباء العرب المعاصرين الذين حذوا حذو المستشرقين في هذا المجال الدكتور طه حسين الذي قيل عنهما مستشرق من أصل عربي، وقام الكثير من الأدباء العرب بنقد هؤلاء، وقام عدد آخر بدعمهم، وطبعاً هؤلاء قلة.

ومن الذين دعوا هذه الفكرة وجمعوا آراء هؤلاء المستشرقين القدماء وترجموها إلى اللغة العربية هو الدكتور عبدالرحمن بدوي في كتابه الذي سماه دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، فيقول الدكتور بدوي في مقدمة كتابه عن آراء ابن سلام الجُمحي حول انتحال الشعر الجاهلي في كتابه طبقات الشعراء: إنه استطاع هو وغيره من علماء اللغة والأدب النقد الفيلولوجي السليم للشعر الجاهلي، وإنه استخدم في ذلك منهجاً علمياً ممتازاً توصل بواسطته إلى النتائج العلمية التالية:

- إن ما ينسب إلى عاد وثمود وما سبق قحطان وما أورده ابن اسحاق كله منحول مزيف؛
- إن ما ينسب إلى حمير وجنوب اليمن من أشعار باللغة العربية القريشية كله منحول مزيف؛ لأن لسان حمير وأقاصي اليمن ليس هو اللسان العربي المعروف، ولا عربيتهم بالعربية التي ورد بها الشعر الجاهلي، كما لاحظ أبو عمرو بن العلاء²⁹.

ومن الأدباء والكتّاب البارزين الذين نقدوا هذه الفكرة ورفضوها بأشد وجه هو الدكتور صادق الرافي في كتابه المعركة تحت راية القرآن، وكذلك من الذين تأثروا بظاهرة الاستشراق وأولواها اهتمامهم سلامه موسي ومحمود عزمي وأحمد لطفي السيد ونجيب محفوظ مؤلف كتاب أولاد حارتنا.

ب- الدعوة إلى العامية واتخاذ اللهجات لغات رسمية: دعا المستشرقون إلى اتخاذ العامية لغة للعلم والفن والأدب، زاعمين بذلك بأن الفصحى تهدم قوة العرب الاختراعية، مما يستلزم تحررهم من سيطرتها هذا التجديد الذي يؤدي إلى التقدم والازدهار، هكذا انطلقت الهجمات المركزية محاولة أن توجه الضربات القاضية للغة العربية "بدأت الحملات مسعورة تكشف من ناحية عن جمود الفصحى وتعديدها وبدائها وتخلفها عن حاجة العصر وثقي عليها مسؤولياتها ما كان من تخلفنا وانحطاطنا، وتدعو من ناحية أخرى للعامية وتضيف إليها مزايا من الفصاحة والسهولة والمرونة والقدرة على التعبير عن مطالب الحياة العصرية وترعى فيها الوسيلة لتنقيف جماهير الشعب وتعليم الأميين"³⁰، وقد عمل الاستشراق لتحقيق غايته في تدريس لهجات العرب المختلفة في مدارسهم وجامعاتهم ومعاهدهم فأسند تعليمها في البداية إلى أبناء العرب كـ: محمد عباد الطنطاوي مؤلف كتاب (أحسن الكتب في معرفة كلام العرب) الذي قام بتدريس اللغة العربية ولهجاتها في جامعة بطرسبرج في روسيا، وأيضاً ميخائيل الصباغ صاحب كتاب (الرسالة الثامنة في كلام العامة والمناهج في احوال الكلام الدراج) قام أيضاً بتدريس العربية ولهجاتها في باريس، وقد كان دافعهم إلى هذا العمل تسهيل دراسة العربية على الطلاب الأجانب بيد أننا نرى أن التيسير والتسهيل لا يكون بتعليم العامية وإنما بعرض قواعد العربية عرضاً سليماً ميسراً، أما المستشرقون الذين ألفوا كتبهم فيما بعد فقد فعلوا ذلك من أجل القضاء على العربية الفصحى وإحلال العامية محلها لأن رُوح العداة للعربية الفصحى والرغبة في إقصائها من الميدان الأدبي لم تنتشر إلا عن طريق الأجانب واستغلالهم لدراسة العامية في بث هذه الروح بين أبناء العربية³¹.

تُشير كثيراً من الدراسات إلى أن المستشرق الألمانيولهم سبيتا (Wilhme Spita) أول من خدم الدعوة إلى العامية وقد شغل منصب مدير لدار الكتب المصرية وقام بتأليف قواعد اللغة العربية العامية سنة 1880م³²، والغريب أنه أصدر كتابه هذا قبل سنتين فقط من الاحتلال الإنجليزي، تحدث في مقدمة كتابه عن فتح العرب لمصر، وانتشار العربية فيها، وقضائها على القبطية مثيراً بذلك التمرة العصرية العرقية لمصر ضد اللغة العربية، ثم اختتمها بفكرة اتخاذ العامية المصرية لغة أدبية "وبعد الزائد الأول لكل من كتب في العامية المصرية من الاجانب، ومنه انبثقت الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدبية ومنه انبعث الشكوى من صعوبة العربية الفصحى وفيه أيضاً وضع أول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية تلك الحروف التي تؤدي باستخدامها فيما بعد لكتابة العربية الفصحى"³³.

يعتبر كتاب الدعوة إلى العامية وأثرها السيئ في مصر للدكتورة نفوسة زكريا سعيد من أبرز وأهم الكتب الذي عالج ووضح جهود الاستشراق في الدعوة إلى العامية حيث يقول محمود شاكر في شأن هذا

الكتاب لو كان الامر بيدي لعملت له مختصرًا ثم لطبعت منه نسخ كثيرة ليكون في يد كل مثقف عربي بل في يد كل قارئ للعربية، وهكذا خلق الاستشراق مُعضلة أصبحت باعتراف علماء من المُشكلات الرئيسية التي يُواجهها العلماء والأدباء العرب المحدثون.

ج- الدعوة إلى كتابة الحروف العربية بحروف لاتينية: ألح المستشرقون وبالغوا في الإلحاح على كتابة العربية بالحروف اللاتينية بحجة أن رسم الخط العربي مشكلة تعيق الناطق العربي عند التقدم وتعرقل المسيرة العلمية لديه، غير أن الحقيقة الخافية وراء مخطط تغيير الحرف العربي هو الحيلولة بين الأمة العربية وتراثها المجيد، وزعزعة وحدتها وهذا ما اقترحه عبد العزيز باشا فهمي في جلسة المجمع اللغوي المصري التي انعقدت يوم 3 ماي 1943م دعا فيه إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، ولم يكن هذا الاقتراح مُستقلاً، بل كان متبوعاً بالدعوة إلى هجر الفصحى، وإحلال العامية مكانها، وكانت كلماته التي صاغ بها مقترحاته تنم عن نقمة عاتية على الفصحى لغة القرآن ولغة التراث العربي من أربعة عشر قرناً، وبلغ به الغلو إلى درجة وصف الدعوة إلى تعلم الفصحى بأنها تحمل في ذاتها محنة حائكة بأهل العربية وطغياناً وبغياً، لأن في ذلك تكليفاً للناس بما فوق طاقتهم،³⁴ وقد استند عبد العزيز باشا في طرح فكرته من كتاب العربية المحكية في مصر لسلدن ولمور (Selden W Lemur) سنة 1901م، وكتابا المقتضب في عربية مصر لفيلوت و باول (Philot et Powell) سنة 1906م، هذه الكتب جميعها تدعو الى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية وتشكو من صعوبة النحو هذه الدعاوات التي تحمل في طياتها التآمر ضد الفصحى تحت شعار "البحث العلمي لدراسة لهجة محلية من اللهجات العربية"، وهو مادعى إليه عبد العزيز فهمي في كتابه "الحروف اللاتينية لكتابة العربية" الذي لفق مؤامراته على العربية وحروفها ولم تلق هذه الدعوة قبولاً من أحد، وهي تعتبر تجديداً للدعوة التي نفذها مصطفى كمال أتاتورك في تركيا، واستبداله الحروف اللاتينية بحروف اللغة التركية وهي حروف عربية.

د- الدعوة الى صعوبة النحو والتشكيك في أصالته: من دعا وبالمعرضة التي تحمل في طياتها التحيل للقوانين والأصول التي حفظت اللغة نحو خمسة عشر قرناً ويزيد، فكأنما القرآن أنزل فينا اليوم وكأن شعراء العربية وفقهاءها وفلاسفتها وكُتّابها كتبوا ما كتبوا بالأمس القريب، وكأنما المتنبيو البُحْثري يُخاطبان جيلنا الحاضر لا فرق بينهما وبين شاعرٍ معاصر كالبارودي أو شوقي أو حافظ. يكمن الهدف الحقيقي وراء دعوة تطور اللغة العربية والدعوة إلى صعوبة النحو في فك العروة الوثقى بين اللغة العربية ومقومات الأمة العربية وكذا تفريقها عن الشريعة الإسلامية وتمزيقها، فما أن تتحول اللغة عن أصولها حتى تضيع روابط الأمة العربية وتنهار شريعته، وقد تجسدت مجهوداتهم في تبسيط اللغة العربية وتطويرها في عدة أشكال:

- إلغاء صورة الإعراب في الكلام العربي واللجوء إلى تسكين أواخر الكلمات: هذه الدعوة وإن كان في ظاهرها التسهيل على المتحدث بالعربية فإنه يُسهل هدم الأركان والأسس التي بُنيت عليها هذه اللغة المجيدة، مما ينتج عنه جهل بمعاني القرآن الكريم، فإذا ما ألغى الإعراب تلاشت أحكامه واندرت وفقدت اللغة أصولها التي بها يستقيم الكلام وسنقدم مثالا لذلك يقوله تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } (فاطر/28)، فإذا ما ألغينا الإعراب وسكنا أواخر الكلمات، تصورت الأذهان من الآية الأولى، أن الله هو الذي يخشى العلماء وليس العكس وهنا تتجلى أهمية الإعراب التي تمكن في فهم معاني القرآن الكريم، وإدراك مواطن جماله فالألفاظ مُغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها،³⁵ وكذلك لا تتضح إلا من خلال الإعراب.

- إرجاع النحو إلى أصول غربية: يذهب بعض المستشرقين إلى ردّ النحو العربي إلى أصول يونانية، أو سريانية، أو هندية، أو لاتينية، فمن الذين قالوا بالتأثير اليوناني على العربي، الفرنسي إرنست رينان (Ernst Renan) والألماني هوفمان (Hoffman) ذهاباً إلى أن مصطلحات الإعراب والصرف والقياس والحركة، مصطلحات يونانية، وتقسيم الكلام عند سيبيويه تقسيم يوناني،³⁶ كل ذلك من أجل التشكيك في أصالة النحو العربي.

ه- ضياع عدد هائل من المخطوطات إثر انتقالها إلى الغرب: من الآثار السلبية في الأدب العربي ضياع عدد لا يستهان به من المخطوطات العربية في مجال الشعر والتاريخ والأدب وكذلك كتب الرحلات وأمثالها خلال نقلها من مكتبات المراكز العلمية في الدول العربية، ولم ترجع بعد إلى هذه المكتبات.

كان المستشرقون بدعم من حكوماتهم التي توفر لهم إمكانيات خروج هذه المخطوطات يعملون بجدّ في هذا المجال، حتى تمكنوا من إخراج الآلاف من هذه النسخ، ومع الأسف ضاع عدد هائل من المخطوطات خلال الحربين العالميتين، وفي بعض الأحيان كانت النسخ الضائعة هي نسخ فريدة عديمة النظير، وأضرّ هذا بالتراث العلمي الإسلامي والأدبي أشدّ إضرار.

الخاتمة: لا يخفى علينا في أنّ تماسك الأمة في تماسك لغتها، لذا وجب علينا المحافظة عليها وعلى سيّورتها وانتشارها فصيحة في جميع مناحي الحياة وأن ندافع عنها، ونذود من حياضها فالدافع عن لغته، مدافع عن أصله وكيانه ورُوحه كما لا يخفى على أحد جهود المستشرقين في شتى المجالات العلمية والدينية والسياسية في الشرق، واهتمامهم باللغة العربية وآدابها بوجه خاص لذلك توصلنا الى النتائج التالية:

1- ترتبط بداية دراسة المُستشرقين للتراث العربي بشكل عامتاريخيا، ببداية القرن الثاني عشر للميلاد، أمابداية عملهم بشكل رسمي وأكاديمي كان في مطلع القرن التاسع عشر، واستمروا حتى القرن العشرين.

2- عُرف خلال القرنين الماضيين تنوع أساليب الاستشراق، وتحوُّله إلى أشكال حديثة معظمها تدور حول دراسات في اللغة العربيّة.

3- أنجز الاستشراق الأوربي دراسات عميقة وتأليفات متنوعة حول اللغة العربيّة وتاريخها.

4- يمتلك المستشرقين دراسات خاصة تتعلق باللغة العربيّة، ولهذه الدراسات اتجاهان مختلفان اتجاه مُتعصب يعمل لتشويه صورة اللغة والأدب العربي، وتعميق الهدف الاستعماري والسياسي من خلال إنكار مصادر التراث الأدبي؛ واتجاه مُنصف يعمل للتعريف باللغة والأدب ومصادرها إلى العالم الغربي بطريقة علمية وبعيدة عن الدسّ والتزوير.

وفي الأخير يمكن القول بأنّ الاستشراق كأى ظاهرة أخرى له آثار سلبية وإيجابية؛ ووردت في المقال نماذج من بعض الآثار السلبية، ومدى تأثيرها على اللغة العربيّة ووحدها.

هوامش الدراسة

1 مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ج1، ص482.

2 ابن جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، بيروت: 2005م، دار الكتب العلمية، م5، ط1 ص89.

- 3متن اللغة، ج3، ص310.
- 4 مالك بن نبي، مجلة الفكر العربي، العدد: 32، ص130.
- 5 ادوارد سعيد، الاستشراق، مؤسسة الابحاث العربية، 1996 ت: كمال أبو ديب، ص16.
- 6 المصدر نفسه، ص92.
- 7أنور عبد المالك، الاستشراق في أزمة، dioqenes، سنة1963، ص71،
- 8 السيد محمد الشاهد، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، الاجتهاد، ع22، 1994م، ص 191-211.
- 9 مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، الرياض، 1995م، مكتبة الملك فهد الوطنية.
- 10 عبدالله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية، القاهرة، 1997م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص16.
- 11 عدنان جواد طعمه، قواعد الفهرسة الألمانية للمخطوطات الشرقية، ألمانيا، سنة 2006، ص7.
- 12 عبده عبود، الأدب المقارن: مشكلات وأفاق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، سنة 1999، ص7.
- 13 ادوارد سعيد، الاستشراق، ص216.
- 14 فيليب دي طرازي، اللغة العربية في أوروبا، القاهرة ،سنة2012، ص11.
- 15 إسماعيل أحمد عمارة، بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير، الأردن، ط01، 1996م، ص377.
- 16 صلاح الدين المنجد، المستشرقون الالمان، ترجمة أني ماري شمل لحياة يوسف فون هامر، دار الكتاب الجديد، بيروت 1982م، ص 27
- 17 المرجع نفسه، ص378.
- 18 المرجع نفسه، ص380.
- 19 المرجع نفسه، ص379.
- 20 نجيب عقيق، المستشرقون، ص316\317.
- 21 نجم الدين غالب الكيب، شخصيات من الشرق والغرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، عام 1969م، ص112.
- 22 أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، مصر، ص332.
- 23 نجيب العقيقي، المستشرقون، ص597\598.
- 24 أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، ص668.
- 25 نجيب العقيقي، المستشرقون، بيروت، دار المعارف، ط04، ج03، ص777.
- 26 المرجع نفسه، ص777.
- 27 خير الدين الوركلي، الأعلام، 1984م، دار العلم للملايين، ط06، ص89.
- 28 المرجع نفسه، ص89.
- 29 عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، سنة1992، ص8.
- 30 أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، ص669.

31 أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، ص670.

32 المرجع نفسه، ص670.

33 المرجع نفسه، ص670.

34 نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، مصر، 1964م، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، ط1 ص145.

35 أنور الجندي، المنهج الغربي الوافد، الموسوعة الإسلامية العربية، لبنان، 1974م، دار الكتاب اللبناني، ط1 ص262.

36 خليفة حسن محمّد، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلاميّة، عين الدراسات والبحوث الانسانيّة والاجتماعيّة القاهرة، 1997، ط1 ص114.